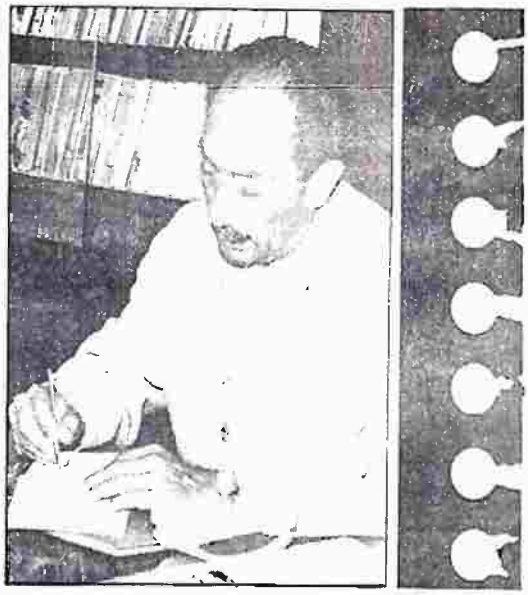

٢٧ من أوراق الرئيس السادات

الجليد.. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

أمّا الذى كتبه على السبّورة

فقد كان فضيحة الفضائح!

يستأنف الرئيس السادات «أوراقه» بعد أن حلت مناسبة ١٥ مايو الجليلة.. والعزيزة علينا جميعاً، تماماً كما أن الحرية عزيزة والكرامة غالية، والأمن والأمان هواء يتنفسه الجميع.. سواء الذين يحبون صاحب ثورة ١٥ مايو والذين يحقدون عليه فى مصر من عملاء الشيوعية ودراويش الناصرية ومرتزقة القذافى..

ويستأنف الرئيس السادات بقدرته العجيبة على الملاحظة وعلى تعمق الشخصيات التى يصادفها فى حياته.. فهو يعرض ماذا فعل القذافى بالقذافى أمام الشعب المصرى..

قال له الرئيس السادات: أمامك مصر فارتدها من القاهرة إلى الإسكندرية.. أمامك أمهات المصريين وبناتهم وأخواتهم وزوجاتهم فاكسب قلوبهن.. فالمرأة نصف مجتمعنا..

إن كنت موسيقاراً فأمامك أصابع البيانو فاضرب عليها أى لحن..

وإن كنت شاعراً فأمامك حروف الكلام فاختر ما يروقك وضع النقط على الحروف وتحتها وحولها..

ولا ينسى كثيرون ماذا حدث عندما كان الرئيس السادات يسعى بين الصفا والمروة، وكان معه القذافى أيضاً ورفاقه..

وفجأة توقف القذافى بين الصفا والمروة فى الشوط الثالث ليقول متلفتاً يميناً وشمالاً: وين المرة.. وينها المرة..

وترجمتها: أين المرأة؟ أين هى المرأة؟

إن هذه «المرة» هى السيدة زوجته..
ولم يكن أحد يعرف أنها كانت تسعى بين الصفا والمروة.. ولا أحد يتصور أن يسميها «المرة»..
ولذلك روعت نساء مصر عندما سمعن القذافى يتحدث إليهن ويقول عن الواحدة منهن: المرة..

أما قمة المأساة فهو هذا الذى كتبه على السبورة فشهقت نساء مصر خجلاً واستنكاراً.
ولكن إشارة من الرئيس السادات جعلتهن يتزودن بالصبر على القذافى، والسكوت عن هذا الهوان..
ولكن القذافى سوف يذهب إلى أبعد من ذلك!

كان مجىء القذافى إلى مصر ليعرض نفسه على الشعب المصرى الذى يحلم بأن يحكمه حدثاً نادراً فى التاريخ..

جاء معمر القذافى هو وزوجته وأولاده ووالدته وأخواته..

وأدركت من أول لحظة أن هذه حلقة جديدة فى السلسلة التى يجب أن تنتهى، لتهريج القذافى.

ولكن لا مانع عندى من أن يجىء ويتحدث إلى كل الناس. ويعرض عليهم أفكاره، ويجرب حظه مع الشعب المصرى العريق الذى عمره سبعة آلاف سنة.. لم يحكمه فيها مصرى واحد قبل جمال عبد الناصر..

وشعبنا المصرى طيب.. من السهل أن ينفذ الإنسان إلى قلبه، ما دام مخلصاً. ومن الصعب أن يتسلط عليه الإنسان إذا كان ظالماً ولذلك فهو شعب سهل ممتنع. سهل مع الصادق، ممتنع على الظالم..

وأنا فخور بشعبنا المصرى الذى لا تخطىء فراسته فى الحكم على الرجال.

ولذلك رأيت أن يتجه القذافى إلى محكمة الشعب أى إلى أن يحتكم إلى فراسة الشعب المصرى..

واستغرقت إقامة معمر القذافى فى مصر ١٧ يوماً.

وكان القذافى على راحته تماماً. يقول ما يحلو له. وعلى راحته فى شذوذه أيضاً.

ومن شذوذ القذافى أن يخالف الناس. أو يصدم الناس.

فإذا وجد الناس سعداء تطوع لإدخال الضيق عليهم.

وإذا ضاق الناس كانت سعادته لا حدود لها..

أخذت القذافى من القاهرة إلى الإسكندرية. كما رويت من قبل. وكان ذلك فى يوليو ٧٣. الجو حار، ولكن جو الإسكندرية كان جميلاً. ولأنه جميل ويريح الأعصاب فقد قرر القذافى أن يتركه ويعود إلى القاهرة؟!

تماماً كما حدث أن دعاء أحد أعضاء مجلس الشعب إلى زفاف ابنته..

وكان عضو مجلس الشعب حريصاً على ألا يأتى براقصة على عادة الأفراح فى مصر، حتى لا يغضب القذافى «نبى» الجماهيرية الورستانية..

ولما أحس القذافى أن الناس حوله سعداء، وهذا طبيعى، قرر فجأة أن يترك الحفل. وفى نفس الوقت أن يهاجم «الإقطاعى» صاحب الدعوة.

● السيدة جيهان السادات ومعها حرم العقيد معمر القذافى.

■ ولا معنى لأن يتساءل الإنسان: إذا كان القذافى لا يريد أن يشهد فرحاً فلماذا ذهب؟ وإذا ذهب ورأى الناس سعداء فلماذا لا يشاركهم فى ذلك؟

وإذا لم يكن يتوقع أن يجد الناس سعداء فى مثل هذه المناسبة، فكيف كان يتصور حفلات الزفاف؟

لا معنى لذلك إلا أنه رجل سادى - أى يجد لذة فى أن يعذب الآخرين.. أو يتكد عليهم وعلى نفسه أيضاً!

وقبل ذلك، كما رويت. اتصل بى جمال عبد الناصر يوماً يقول لى فى التليفون: هل تعرف من الذى جاء اليوم؟

■ قلت: من؟

قال: معمر القذافى!

■ اليوم؟ فى نسم النسيم؟ فى مثل هذا اليوم الذى يجلس فيه كل إنسان مع أسرته وأصدقائه؟.

ولكن هذا هو جانب من جوانب الشذوذ فى شخصية هذا الرجل..

وكنت أعزو ذلك إلى أنه شاب متحمس. وأنه رجل

مخلص . وأنه صاحب رأى ونظرية .

ولا مانع عندى أبداً من أن يحتك بالشعب المصرى . وأنا أعلم مقدماً رأى الشعب المصرى . : فى تاريخنا كان الشعب يسخر من الأسرة المالكة أى من الأتراك . لأنهم أجانب عن بلادنا .

أما القذافى فهو يريد أن يكون مصرياً . ولكى يكون مصرياً لابد أن يكون جميع المصريين ليبيين . فإذا تحققت الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا . فلا أحد ليبى ولا أحد مصرى . وإنما هم جميعاً اندماجيون . فإذا اندمجنا فسوف يكون من حقه أن يحكم مصر . .

ولكن الغلطة فى هذه التركيبة العجيبة أن القذافى يجب أولاً - وليس أخيراً - أن يكون مصرياً لكى يحكم مصر . !

■■ ولكنه معذور . . فمستشاروه قد ملأوا دماغه بأفكار فارغة .

ثم جاء إلى مصر يفرغ ما فى رأسه ، ويستفتى الناس عليه وعلى زعامته ، وعلى أماله العريضة فى أن يكون الحاكم لمصر وليبيا معاً . .

وقد دعوته إلى أن يجتمع بمجلس الوزراء المصرى . وأن يحدث المجلس بكل ما يراه . وهذا هو منتهى الثقة . وفى مجلس الوزراء عرضوا عليه كل احتمالات أو اجتهادات شكل الوحدة :

■ الوحدة الفيدرالية .

■ والوحدة الكونفيدرالية . .

■ ثم الوحدة الاندماجية كالتى كانت بيننا وبين سوريا .

وقد تحدثت د . عائشة راتب كأستاذة للقانون الدولى وشرحت وأسهبت فى ذلك . .

وكان الهدف من اجتماعه بمجلس الوزراء أن يسمع ما يقوله رجال القانون ، وأن يسمعوا منه أيضاً . .

وأعتقد أن دعوة رجل كالقذافى لحضور مجلس الوزراء رسمياً ، وإن كان يتناقى مع البروتوكول ، فلأننى اعتبرته واحداً منا . . وهذا هو المعنى الذى قصدته .

وأنا أذكر فى سنة ١٩٥٥ عندما كنت أتوسط بين باكستان وأفغانستان . وكان معى فى هذه الوساطة الأمير مساعد عم الملك خالد ، استغرقت هذه الوساطة عشرين يوماً . . وكانت قد تجمعت معلومات أردت أن أقولها لرئيس الوزراء . فما كان من رئيس وزراء باكستان إلا أن دعانى بعد أن انفض مجلس الوزراء . . وكانت جلستى مع رئيس الوزراء والوزراء جلسة غير رسمية . لأن المسألة تتعلق بالسيادة فلا يصح لى أن أحضر اجتماع مجلس الوزراء . ووقتها كنت وزيراً للدولة وسكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى . .

ولكن الذى فعلته مع القذافى كان أكثر من ذلك .

ثم دعوته إلى أن يتحدث فى مجلس الشعب . وكان النواب فى غاية الانفعال . فالرجل الجالس أمامهم قد شتم مصر وأهان كبرياءها . ومع ذلك يجد هذه الجرأة فيتحدث إلى ممثلى الشعب . ورغم ذلك فقد ضبط النواب أعصابهم . .

وفجأة قامت النائبة فاطمة عنان ثائرة تقول : الآن تمدح مصر . لماذا لم تقل ذلك فى باريس . . أنت فى باريس شتمت مصر وشعب مصر !

وأشرت إليها أن تهدأ وأن تمسك أعصابها . . فجلست . ونعلت نفس الشئ مع أعضاء آخرين ، حتى يتمكن القذافى من أن يقول كل ما عنده وبكل حريته . وحتى يعرف نواب الشعب ماذا فى رأس الرجل الذى يريد أن يحكمهم . والذى أقنعه مستشاروه بأن هذا ممكن !

وهو على كل حال ضيف على مصر .

وفى ذلك الوقت كنت لا أزال أرى أنه ابنى . . أو الأخ الأكبر لجمال ابنى . شاب متحمس .

ولم يخطر على بالى لحظة واحدة : أنه يتآمر وأن لديه أهدافا أخرى . وأعترف أننى كنت أنظر إليه بحسن نية . ولا خوف على أحد أن يستمع إليه . فليس هو كبيرا إلى هذه الدرجة . ولا مصر العريقة ضئيلة إلى هذه الدرجة .

ومازلت أرى أن الفكر لا يخيف . فليقل ما يشاء .

فإذا كان مجنونا فالناس عقلاء . .

وإذا كان حالما ، فالتاريخ المصرى قادر على أن يوقظه ويؤرقه أيضا . فليقل ما يشاء . .

وبعد ذلك كانت مواجهة القذافى للمرأة . . أو لنساء مصر من أسوان إلى القاهرة . اجتمعن كلهن ليسمعن القذافى .

أما كيف نبتت هذه الفكرة فهى أن زوجتى قالت للقذافى : يا رئيس معمر لماذا لا تلتقى بالمرأة المصرية وتعرض عليها رأيك . .

فقال القذافى : لا مانع أبدا .

■■ وكان لقاء القذافى بالمرأة المصرية أسوأ لقاء يمكن أن يصادفه أى إنسان فى حياته .

وكان هذا الاجتماع هو نكتة الموسم ، ونصيحة الفضائح . .

أما النكتة فهى التى كشفت العلاقة بين محمد حسنين هيكل وبين القذافى . فالصحفى هيكل كان يعمل مستشارا لجمال عبد الناصر وكان جمال عبد الناصر يشركه معه فى قراراته وهذا هو الذى أفسده .

ثم إنه الآن يعمل مستشارا للقذافى . . ويبدو أنه لابد لهيكل أن يقف فى ظل حاكم فرد . .

● واقترحت عليه زوجتى أن يلتقى بنساء مصر . . فهو لم يتحدث إليهن . ووافق القذافى على هذا اللقاء . . فجاءت

● وفى مجلس الوزراء عرضت د . عائشة راتب وهى أستاذة فى القانون الدولى مفهومات الوحدة بين مصر وليبيا . .

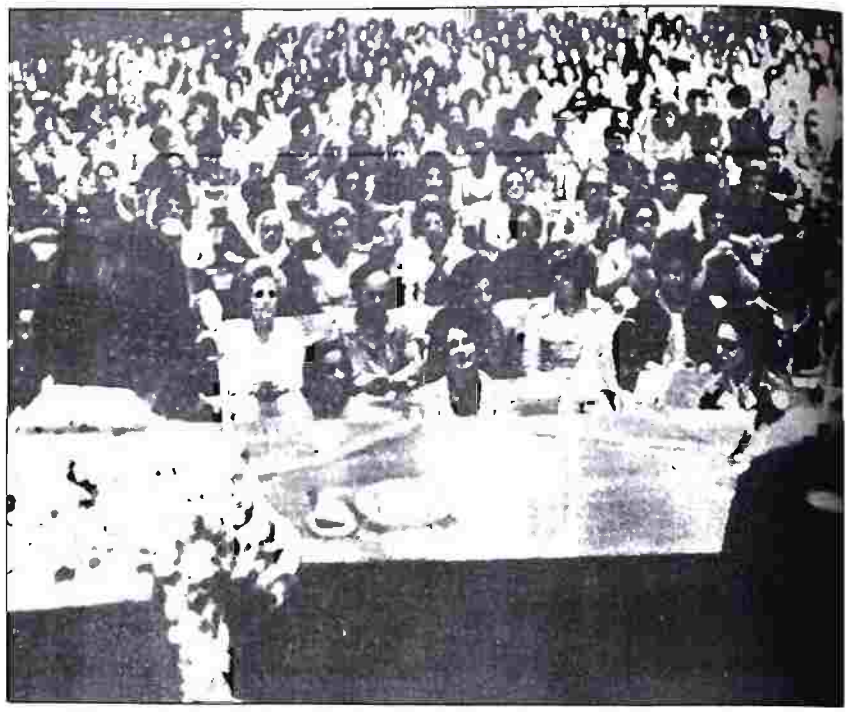

١٢٠٠ سيدة مصرية من جميع أنحاء الجمهورية .. ولم تتح لأحد أن يفوز بمثل هذه الفضيحة من قبل !

فقد حكيت للصحفى هيكل فى إحدى المرات عن كمال أتاتورك وكيف أن هذا الزعيم كان يحتاج إلى استخدام السبورة ليشرح للشعب التركى وجهة نظره .. لأن الزعماء أيضاً الشعوب ومعلموهم أيضاً ..

وقلت له إن هذه الفكرة أعجبتنى وأننى يجب أن ألجأ إليها فى بعض الأحيان .. وفوجئت بأن القذافى فى اجتماعه بنساء مصر قد طلب سبورة ليشرح وجهة نظره . فكدت أضحك على الطريقة السريعة التى انتقلت بها الفكرة من المستشار المصرى إلى الرئيس الليبى .

وأشرت بأن يأتوا له بسبورة .. وجاءت السبورة .

وراح القذافى يشرح وكان ينطق « المرأة » من غير همزة . وكلمة « المرة » كلمة لا تليق عندنا .. فلا أحد يجرؤ أن يقول ذلك عن أمه وأخته وابنته ..

وكلما أحس القذافى أن هذه الكلمة تخدش حياء السيدات ، راح يسرف فى استخدامها ؛ امعانا فى الايلام والتعذيب !

وظهر الضيق والاستياء على السيدات المصريات .

وكانت د . عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعية تجلس فى الصف الأول . وبدأت تتململ . وتريد أن تقاطعه أو تنبهه إلى ذلك . وكنت أشير إلى الجميع أن يلتزمن الهدوء حتى يكمل الرجل كلمته .

وأخيرا لاحظت أن د . عائشة راتب قد عقدت يديها فى حالة من اليأس ..

وحاولت أمينة السعيد التى سبق أن تصدت له فى اجتماعه بمحررى أخبار اليوم أن تنهض للرد عليه . وأشرت إليها أن تسكت فسكتت .

■■ وفجأة سمعت « شهقة » من جميع الحاضرات . فأدركت أن شيئا فظيعا قد حدث .

● وقرأ د . حافظ غانم ما اتفقت عليه اللجنة المشتركة .. ود . غانم يعرف العملية جيدا . وأنا أثق فيه ..

وتلفت ورائى أرى ما الذى كتبه القذافى على السبورة فوجدت فضيحة الفضائح حقا .

● نقد كتب على السبورة معادلة عن المرأة تقول :

المرأة تساوى :

١ ـ بكارة : يمكن التخلص منها ..

● ثم شهقت النساء مرة أخرى تتلفت أرى ماذا كتب . فوجدت :

٢ ـ حيض : لا يمكن التخلص منه

● وكادت النساء يفقدن أعصابهن تماما . فتلفت أرى بقية المعادلة فوجدته قد كتب :

٣ ـ الحمل : يمكن التخلص منه

وأشرت إلى سيدات مصر أن يتجملن بالصبر . وكاد الموقف يفلت من يدى لو ضاعت نفسى وضحكت على هذه المهزلة .

فأمام نساء مصر رجل يريد أن يحكم مصر مستندا إلى مثل هذا المنطق . ومثل هذا الاحتقار لنصف المجتمع . مضافا إليه الاستخفاف للنصف الآخر !

وطلبت أمينة السعيد الكلمة . فأشرت إليها أن : لا ..

ولما طلب إليها أن تقوم وتقول كلمتها . اعتذرت وقالت : لا ..

وكان القذافى حريصا على أن يشتبك مع أمينة السعيد أو غيرها فى أية معركة ..!

ولم أحضر اجتماع القذافى مع رجال الدين .

وإنما كلفت حسين الشافعى أن يذهب بالنيابة عنى .

جلس القذافى ـ على ما سمعت ـ وشرح اجتهاداته فى الإسلام وفى تفسير القرآن . وأشار إلى واحد من أتباعه فأحضر له المصحف . وكان قد وضع قطعا من الورق فى الصفحات التى يريد أن يقرأ منها . والذين سمعوه يقولون إن قراءته للقرآن الكريم لم تكن سليمة .

● أما أمينة السعيد قد سبق أن اشتبكت معه .. وحاولت أن ترد ولكنى منعتها .. فقد كان القذافى يريد أن يخلق معركة !

■■ وفى هذا الاجتماع أغضب رجال الدين الإسلامى والدين المسيحى أيضا .

وكانت جرأة ولا شك أن يتهجم على الشريعة الإسلامية بفروعها الكثيرة وأعمالها العظيمة وعلى مسمع من أعلم العلماء ..

وقد تسلل من القاعة كثير من رجال الدين . أما الباقون فقد احتملوا هذه الجرأة بأعصاب من حديد ..

والقذافى فى ليبيا أكمل رسالته الدينية عندما قرر إلغاء السنة .. أى ما كان بفعله الرسول ﷺ واكتفى بالقرآن الكريم . أو باجتهاده هو فى فهم القرآن الكريم . مع أن السنة ركن من أركان الشريعة عندنا .

ولكن القذافى أضاف إلى القرآن الكريم كتابا لم ينزل على أحد . وإنما نزل عليه هو ـ أستغفر الله ـ . أو طلع به هو . ذلك هو « الكتاب الأخضر » .

وأمام هذا التعدى على الإسلام وعلى السنة النبوية . وقف رجال الدين فى ليبيا صامتين خوفا من مشانق هذا الرجل . .

■ ■ وخلاصة هذا كله : أن القذافى واجه الشعب بجميع هيئاته . . والرجال والنساء والوزراء ونواب الشعب وثلاثا من دور الصحف : الأهرام والأخبار وروز اليوسف . .

ولا أظن أن أحدا قد أعطى مثل هذه الفرصة ليعرض فكره على كل الناس . .

ولم أتدخل فى شئ من ذلك . وإنما كنت أقدمه أحسن تقديم ، وعن طيب خاطر . . وجاءنى محمد حسنين هيكل يشكو من القذافى .

قال لى : إننى عندما ذهبت للقذافى أسلم عليه ، مد لى يده جالسا . .

يريد الصحفى هيكل أن يقول إن القذافى يتعالى عليه . أى أنه ليس على وفاق معه . .

وقال لى محمد حسنين هيكل أيضا : إن القذافى يشكو من أنى قد رتبت هذه الاجتماعات كلها « لتكثيف » السخط عليه !.

أى أننى ما جمعت الناس له ، وإنما جمعتهم عليه . .

وانتهزت أقرب فرصة لقيت فيها القذافى وصارحته وأنا أوصله إلى حيث ينيم فى قصر الطاهرة :

يا معمر بلغنى أنك قلت إننى رتبت هذه الاجتماعات ضدك . .

وكان رده : أبدا . لم أقل ذلك !

ولا أعرف أيهما أصدق . .

ولم تفتنى مناسبة دون أن أقول للقذافى : أمامك الشعب أقنعه . إما أن تغيرهم وإما أن يغيروك . . فشعبنا إذا اقتنع أعطى كل شئ . . إن الشعب المصرى عندما اقتنع بجمال عبد الناصر أعطاه كل شئ . . وسار فى جنازته ، خمسة ملايين رغم كل ما حدث . . بل إن الشعب إذا أحب زعيمه فإنه يبرر له كل أخطائه . . بل كانوا يقولون : إنه لا يعرف . . ولو عرف لأصلح كل شئ . . إن الذين حوله هم الذين يحجبون عنه كل شئ . . حدث هذا لجمال عبد الناصر .

■ وقلت للقذافى : يا ابنى حاول أنت أيضا لعلك تكسب شعب مصر . .

والله يعلم أننى كنت مخلصا فى ذلك . فقد كنت أرى معمر القذافى إنسانا طيبا مخلصا . ولم أتبه - وأعترف بذلك - إلى ما وراء هذه الواجهة الخادعة . .

وفى نهاية الأيام السبعة عشر التقينا فى استراحة القناطر الخيرية . وكان مع القذافى فى هذا الاجتماع : عبد السلام جلود وعبد المنعم الهونى وعمر المحيشى الموجود فى مصر الآن .

وفى الجانب المصرى د . عبد العزيز حجازى نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد وممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ود . حافظ غانم أمين الاتحاد الاشتراكى .

وفوجئت فى هذا الاجتماع بالقذافى يقول :

قررنا ألف مليون جنيه استرلينى لمصر على خمس سنوات . . أى ٢٠٠ مليون جنيه كل سنة . .

مبلغ ضخم يحل لنا كل مشاكلنا وينقذ الحصار الاقتصادى المضروب حولنا .

والقذافى يعلم تماماً الحالة فى مصر . وسبق أن أرسلت أطلب منه ، عشرين مليونا من الجنيهات .

والقذافى يعلم أن ما يقوم به هو تكتيك . . لأن المعلومات التى تصله من القاهرة تقول : إن مصر فى أسوأ أحوالها . وأنه يكفى أن يغرقها بالفلوس فإذا هى راكعة عند قدميه . .

■ وقالى هذا المبلغ وقلت له : والله يا معمر المبلغ كثير جدا . وأنا لا أستطيع أن أستوعب هذا المبلغ فى خمس سنوات . ولذلك أقترح أن نكتفى بنصف هذا المبلغ ٥٠٠ مليون جنيه . . مائة مليون كل سنة . .

وهنا قال د . عبد العزيز حجازى : نستطيع أن نستوعب هذا المبلغ كله . .

أو لعل د . حجازى كان يتمنى ذلك . .

فى ذلك الوقت كانت علينا ديون .

ولم يشأ د . حجازى أن يصارحنى بذلك إشفاقا على ، أو لعل الصورة لم تكن مكتملة لديه . .

لا أدرى . ولكن الرجل كان مخلصا .

■ ورددت على د . حجازى قائلا : لا أظن أننا نستطيع أن نستوعب هذا المبلغ . .

وفى نفس الوقت لا أريد أن أشق عليك يا معمر . . يكفينا مائة مليون جنيه كل سنة . . واتفقنا فى نهاية هذا الاجتماع على أن تتكون لجنة مشتركة من مصر وليبيا لتعرض علينا خلاصة الرأى فى هذه الوحدة الاندماجية وفى ورقة عمل واضحة المعالم .

وفى الساعة الحادية عشرة تم اللقاء فى بيتى بالجيزة . وكان الجانب المصرى يضم د . عبد العزيز حجازى وممدوح سالم وحافظ غانم وحافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى .

وبيتى فى الجيزة هذا ضيق إلى أبعد حد . ولم نجد مكانا مناسبا نجلس فيه سوى غرفة الطعام . وجلسنا إلى مائدة الطعام . وضيق البيت هو الذى يجعلنى آذهب إلى استراحة القناطر ففيها غرفة أوسع .

وتحدث عضو الجانب المصرى د . حافظ غانم وهو أستاذ قانون ويعرف عملية الوحدة منذ اجتماعات بنغازى وأنا أثق فيه .

■ ■ وقرأ كل الخطوات الضرورية للوحدة الاندماجية . . وتكلم عن يوم أول سبتمبر أو كما يسمونه الفاتح من سبتمبر وهو عيد ثورة ليبيا ليكون يوم الاستفتاء الشعبى .

وشرح ما اتفقت عليه اللجنة بشأن الألف مليون جنيه التى اقترحت تخفيضها إلى النصف .

وبعد أن فرغ د . حافظ غانم من هذا الكلام . فوجئنا بعبد السلام جلود يقول : هنا نقف !

فأذهلنى ذلك . .

● طلب القذافى سيجارة ليشرح عليها وجهة نظره . . وأشرت إلى السيدات أن يتجملن بالصبر . . ولكن عندما « شهقت » السيدات نظرت ورائى لأجد شيئا عجيبا . . شيئا فاضحا !

نقلب فى بقية الأوراق . .
فى الأسبوع القادم إن شاء الله